The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Philemon 1:10-16	فِليمُون 1: 10–16
#C2620_Pt.2	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 381
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَكْ سميث

[المُقدِّمة]
(مُقدِّم البرنامج)

أهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ صَديقي المُستَمِع في حَلْقَةٍ جَديدَةٍ مِنَ البَرْنامَج الإذاعيِّ "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم".

كُنَّا قَدِ ابْتَدَأنا في الحَلْقَةِ السَّابِقَةِ دِراسَةَ رِسَالَةِ بولُسَ الرَّسول إلى فِليمون. وَما نَأمَلُهُ هُوَ أنْ تَكونَ، عَزيزي المُسْتَمِع، قَدْ تَبارَكْتَ، واسْتَفَدْتَ، وَحَقَّقْتَ نُضْجًا في عَلاقَتِكَ بالربِّ يَسوعَ المَسيح مِنْ خِلالِ هَذِهِ التَّفسيراتِ وَالتأمُّلات. وَفي حَلْقَةِ اليوم، سَنُتابِعُ بِنِعْمَةِ الربِّ دِراسَتَنا لِهَذِهِ الرِّسالَةِ المُبارَكَةِ على فَمِ الرَّاعي "تشك سميث".

وَالآنْ، إنْ كَانَ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ، نَرْجو أنْ تَفْتَحَهُ على هَذا السِّفْرِ النَّفيس وَهَذِهِ الرِّسالَةِ العَظيمَةِ (أي الرِّسَالَةِ إلى فِليمُون)؛ وَهِيَ رِسالَةٌ تَتَأَلَّفُ مِنْ أصْحاحٍ واحِدٍ فَقَط. أمَّا إنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ، فَمَا نَرْجوهُ مِنْكَ يا صَديقي هُوَ أنْ تُصْغي بِروح الخُشوع وَالصَّلاة.

والآنْ، نَتْرُكُكُمْ أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعين مَعَ دَرْسٍ جَديدٍ مِنَ رِسالَةِ بُولُسَ الرَّسول إلى فِليمُون ابْتِداءً بالعَدَدِ العاشِر؛ دَرْسًا أعَدَّهُ لَنا الرَّاعي "تشك سميث":

[العِظَة]
(الرَّاعي "تْشَكْ سميث")

نَقْرَأُ في العَدَدِ العاشِرِ مِنْ رِسالَةِ بولسَ الرَّسولِ إلى فِليمون:

أَطْلُبُ إِلَيْكَ لأَجْلِ ابْنِي أُنِسِيمُسَ، الَّذِي وَلَدْتُهُ فِي قُيُودِي،

وَفي النَّصِّ اليونانيِّ، يأتي الاسْمُ "أُنْسِيمُس" في نِهايَةِ الجُمْلَةِ كالتَّالي: "أَطْلُبُ إِلَيْكَ لأَجْلِ ابْنِي الَّذِي وَلَدْتُهُ فِي قُيُودِي، أُنِسِيمُس". فَقَدْ كانَ أُنِسيمُسُ عَبْدًا. وَمِنَ الواضِحِ أَنَّهُ كانَ قَدْ سَرَقَ مِنْ سَيِّدِهِ فِليمون مَبْلَغًا مِنَ المَالِ قَبْلَ فَرارِهِ. وَمِنَ المَنْطِقِيِّ جِدًّا أَنْ يَكونَ سَيِّدُهُ فِليمون غاضِبًا جِدًّا بِسَبَبِ ذَلِكَ.

لِذَلِكَ، كانَ بولسُ حَريصًا على عَدَمِ ذِكْرِ اسْمِ "أُنِسيمُسَ" في بِدايَةِ الجُمْلَةِ أَوْ حَتَّى في مُنْتَصَفِها، بَلْ إِنَّهُ أَرْجَأَ ذَلِكَ إلى نِهايَةِ الجُمْلَة. فَهُوَ لَمْ يَذْكُرِ الاسْمَ "أُنْسيمُس" إِلَّا بَعْدَ أَنْ قامَ بِتَلْطيفِ الأَجْواءِ بالقَوْلِ: "ابني الذي وَلَدْتُهُ في قُيودي". فَقَدْ أرادَ لِفليمون أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ أُنِسيمُسَ قَدِ اخْتَبَرَ ذلكَ التَّغييرَ الذي يَحْدُثُ لِجَميعِ الأشخاصِ الذينَ يَخْتَبِرونَ نِعْمَةَ المَسيحِ المُغَيِّرَة.

وَيُواصِلُ بولسُ الرَّسولُ حَديثَهُ عَنِ التَّغييرِ الذي حَدَثَ لإِنِسيمُسَ فيقولُ في العَدَدِ الحادي عَشَر:

الَّذِي كَانَ قَبْلاً غَيْرَ نَافِعٍ لَكَ، وَلكِنَّهُ الآنَ نَافِعٌ لَكَ وَلِي،

يَقولُ بولسُ هُنا إِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ أُنِسيمُسَ كانَ غَيْرَ نَافِعٍ لِفليمون قَبْلًا، وَلَكِنَّهُ يُؤَكِّدُ لَهُ أَنَّهُ صَارَ نَافِعًا لِكِلَيْهِما الآن.

وَيُتابِعُ بولسُ رِسالَتَهُ إلى فِليمون قائِلًا في العَدَدِ الثَّاني عَشَر:

الَّذِي رَدَدْتُهُ. فَاقْبَلْهُ، الَّذِي هُوَ أَحْشَائِي.

وَكَأَنَّ بولسَ يَقولُ لِفليمون: "لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّهْلِ عَلَيَّ أَنْ أَتَخَلَّى عَنْ أُنِسيمُس لأَنَّهُ صَارَ جُزْءًا مِنِّي بَلْ هُوَ أَحْشائي. وَمَعَ ذَلِكَ فإِنِّي أَرُدُّهُ إليكَ، فاقْبَلْهُ".

ثُمَّ يَقولُ بولسُ الرَّسولُ في العَدَدِ الثَّالِث عَشَر:

الَّذِي كُنْتُ أَشَاءُ أَنْ أُمْسِكَهُ عِنْدِي لِكَيْ يَخْدِمَنِي
عِوَضًا عَنْكَ فِي قُيُودِ الإِنْجِيلِ،

فَمِنْ جِهَة، كانَ بولسُ في حَاجَةٍ إلى مَنْ يُساعِدهُ في الخِدْمَة. فَقَدْ كانَ مُقَيَّدًا بالسَّلاسِلِ إلى جُنْدِيٍّ رُومانِيٍّ في السِّجْنِ طَوالَ الوقتِ. وَكانَ في حَاجَةٍ إلى شَخْصٍ يُمْلي عليهِ الرَّسائِلَ التي يَكْتُبُها إلى الكَنائِس. وَيَقولُ بولسُ لِفليمون هُنا: "أنا أعْلَمُ أنَّكَ تَتَمَنَّى أنْ تَكونَ حَاضِرًا لِمُساعَدَتي في هَذا الظَّرْفِ العَصيب. وَلَكِنَّ أُنِسيمُس قَامَ بِكُلِّ مَا يَلْزَم، وَكانَ خَيْرَ مُعينٍ لي في السِّجْن".

وَلا شَكَّ أنَّ أُنِسيمُس لَمْ يَكُنْ مَسْرورًا بِكَوْنِهِ عَبْدًا. فَقَدْ كانَ أحْقَرُ شَيءٍ يُمْكِنُ أنْ يَحْدُثَ للإنْسانِ هُوَ أنْ يَصيرَ عَبْدًا. وَفي زَمَنِ الإمبراطوريَّةِ الرُّومانيَّةِ، كانَتِ العُبوديَّةُ مُسْتَفْحِلَةً جِدًّا. وَفي الوَقْتِ الذي كَتَبَ فيهِ بولسُ رِسالَتَهُ إلى فِليمون، كانَ عَدَدُ العَبيدِ في الإمبراطوريَّةِ الرُّومانيَّةِ يَزيدُ عَنِ السِّتّين مِليون شَخْص! وَكانَتِ الإمبراطوريَّةُ الرُّومانيَّةُ تَخْشى دائِمًا أنْ يَقومَ هؤلاء العَبيدُ بِثَوْرَةٍ ضِدَّها. لِذلكَ، إذا قامَ أيُّ عَبْدٍ بأيِّ عَمَلٍ يُشيرُ إلى التمرُّدِ وَالعِصْيان (كأنْ يَهْرُبَ مَثَلًا)، كانَ يُعاقَبُ عِقابًا قاسِيًا. وَفي أغْلَبِ الأوقاتِ كانَ أمثالُ هَؤلاء يُعْدَمون لِكَيْ يَكونوا عِبْرَةً للعَبيدِ الآخَرين. فَمِنْ خِلالِ إعْدامِ العَبيدِ المُتَمَرِّدينَ، كانَتِ السُّلُطاتُ الرُّومانيَّةُ تَقولُ لِجَميعِ العَبيدِ الآخَرين: "هَذا هُوَ مَصيرُ كُلِّ شَخْصٍ يَتَجَرَّأُ على التمرُّدِ على السُّلْطَة!" أمَّا أخَفُّ عِقابٍ للعَبْدِ الهارِبِ فَهُوَ أنْ يُدْمَغَ على جَبْهَتِهِ بِقَضيبٍ مُحَمًّى بالنَّار بالحرف "هاء" (أي: هَارِب).

وباختصارٍ شَديدٍ، كانَ العَبْدُ بِلا حُقوقٍ. فَلَمْ يَكُنْ بإمْكانِهِ أنْ يَمْتَلِكَ أيَّ شَيءٍ، وَلا أنْ يَشْتَكي على أحَد. فإذا ضَرَبَهُ أحَدٌ أوْ سَرَقَهُ، لا يُمْكِنُهُ أنْ يَطْلُبَ الحِمايَةَ أوِ الإنْصافَ مِنْ أحَد. فَقَدْ كانَ السيِّدُ هُوَ صَاحِبُ الحَقِّ المُطْلَقِ في أنْ يَفْعَلَ مَا يَشاء بِعَبْدِهِ. وَحَتَّى لَوْ قَتَلَ السيِّدُ عَبْدَهُ، فإنَّ القانونَ لا يُعاقِبُهُ! وَكانَ العبيدُ يُضْرَبونَ كُلَّ يَوْمٍ، وَيُهانونَ، وَيَعيشونَ أحوالًا مَأساوِيَّةً بِسَبَبِ بَطْشِ سَادَتِهِمْ وَقَسْوَتِهِم. وَقَدْ تَحَدَّثَ بولسُ في رَسائِلِهِ عَنْ كَيْفَ يَنْبَغي للسَّادَةِ أنْ يُعامِلوا عَبيدَهُم.

وَها هُوَ بولسُ الآنَ يُناشِدُ فِليمون مِنْ أجْلِ أُنِسيمُس. فَقَدْ كانَ فِليمون يَمْلِكُ الحَقَّ في مُعاقَبَةِ أُنِسيمُسَ. وَكانَتْ أخَفُّ عُقوبَةٍ يُمْكِنُ أنْ يُنْزِلَها بِهِ هِيَ أنْ يَدْمَغَهُ على جَبينِهِ بالحَرْفِ "هاء" كَيْ يَعْلَمَ جَميعُ مَنْ يَراه أنَّهُ عَبْدٌ هَارِب. وَلَكِنَّ بولسَ يَقولُ لِفليمون: "الَّذِي كُنْتُ أشَاءُ أنْ أُمْسِكَهُ عِنْدِي لِكَيْ يَخْدِمَنِي عِوَضًا عَنْكَ فِي قُيُودِ الإنْجِيلِ". وَهُوَ يُتابِعُ حَديثَهُ قائِلًا في العَدَدِ الرَّابِع عَشَر:

وَلَكِنْ بِدُونِ رَأْيِكَ لَمْ أُرِدْ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا، لِكَيْ لاَ يَكُونَ خَيْرُكَ كَأَنَّهُ عَلَى سَبِيلِ الاضْطِرَارِ بَلْ عَلَى سَبِيلِ الاخْتِيَارِ.

فَاللهُ لا يُريدُنا أنْ نَفْعَلَ أيَّ شَيءٍ على سَبيلِ الاضْطِرار، بَلْ على سَبيلِ الاخْتيار. وَمَعَ أنَّنا نَميلُ كَبَشَر إلى الضَّغْطِ على الآخَرينَ كَيْ يَفْعَلوا مُا نُريد، فإنَّ بولسَ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَذا النَّوْع. بَلْ إنَّهُ يَقولُ لِفِليمون إنَّهُ لا يُريدُهُ أنْ يَفْعَلَ أيَّ شَيءٍ بِدافِعِ الاضْطِرار. فَقَدْ كانَ يَوَدُّ أنْ يَبْقى أُنِسيمُس عِنْدَهُ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يُرِدْ أنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ رَغْمًا عَنْ إرادَةِ فِليمون. وَقَدْ تَحَدَّثَ بولسُ

الرَّسولُ عَنْ موضوعِ العَطاءِ في رِسالَتِهِ الثَّانِيَةِ إلى أهْلِ كورِنثوس 9: 7 فَقال: "كُلُّ وَاحِدٍ كَمَا يَنْوِي بِقَلْبِهِ، لَيْسَ عَنْ حُزْنٍ أوِ اضْطِرَارٍ. لأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ". لِذلكَ، إذا كُنْتَ مُسْتَعِدًّا أنْ تُعْطي بِسُرور، فإنَّ عَطاءَكَ هَذا مَغْبوطٌ لَدى الربِّ. أمَّا إذ كُنْتَ تُعْطي عَنْ حُزْنٍ أوِ اضْطِرارٍ، مِنَ الأفْضَلِ أنْ لا تُعْطي. فَاللهُ لا يُريدُ عَطايانا إنْ لَمْ تَكُنْ نَابِعَةً مِنْ قُلوبٍ مُفْعَمَةٍ بالفَرَحِ وَالسُّرور.

وَيُمْكِنُكَ، صَديقي المُستمِع، أنْ تَتَخَيَّلَ نَفْسَكَ في مَوْقِفٍ كَهَذا. فَماذا لو أعْطاكَ أحَدُ الأشخاصِ شَيئًا وَهُوَ حَزينٌ وَمُتَرَدِّدٌ وَمُنْزَعِج؟ هَلْ سَتَقْبَلُ عَطِيَّتَهُ أوْ هَدِيَّتَهُ؟ بالتَّأكيدِ لا! فَنَحْنُ لا نُحِبُّ أنْ نَحْصُلَ على الأشياءِ بِهَذِهِ الطَّريقَةِ المُحْرِجَةِ أوِ المُهينَةِ. لِذلكَ، إذا أرَدْتَ أنْ تَخْدِمَ اللهَ، اخْدِمْهُ بِفَرَحٍ وَسُرور. وَإذا أرَدْتَ أنْ تُعْطي اللهَ مِنْ وَقْتِكَ أوْ مَالِكَ، فافْعَلْ ذَلِكَ مِنْ قَلْبٍ يَفيضُ فَرَحًا وَسُرورًا أيضًا. وَإذا كُنْتَ لا تَشْعُرُ بِهَذا الفَرَحِ وَالسُّرورِ في قَلْبِكَ، مِنَ الأفْضَلِ أنْ تَحْتَفِظَ بِما لَدَيْكَ لِنَفْسِكَ.

ثُمَّ يَقولُ بولسُ لِفليمون في العَدَدَيْنِ الخامِسِ عَشَرَ وَالسَّادِسِ عَشَرَ:

لأَنَّهُ رُبَّمَا لأَجْلِ هذَا افْتَرَقَ عَنْكَ إِلَى سَاعَةٍ، لِكَيْ يَكُونَ لَكَ إِلَى الأَبَدِ، لاَ كَعَبْدٍ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ أَفْضَلَ مِنْ عَبْدٍ: أَخًا مَحْبُوبًا، وَلاَ سِيَّمَا إِلَيَّ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ إِلَيْكَ فِي الْجَسَدِ وَالرَّبِّ جَمِيعًا!

وَالحَقيقَةُ هِيَ أنَّنا لا نَعْلَمُ ما يُمْكِنُ للهِ أنْ يَفْعَلَهُ عِنْدَما نُواجِهُ مَوْقِفًا مَيئوسًا مِنْهُ. فَعِنْدَما سَرَقَ أُنيسيمُسُ المالَ وَهَرَبَ، مِنَ المُؤكَّدِ أنَّ سَيِّدَهُ فِليمون انْزَعَجَ وَغَضِبَ بِسَبَبِ ذلك. وَرُبَّما قالَ فِليمون في قَلْبِهِ: "لِماذا سَمَحْتَ يا رَبُّ لِهَذا العَبْدِ أنْ يَسْرِقَني وَأنْ يَنْجو بِحَياتِهِ؟ لِماذا سَمَحْتَ لِهذِهِ المُصيبَةِ أنْ تَحْدُثَ لي؟"

وَلَكِنَّ بولسَ يُجيبُ عَنْ هَذِهِ الحَيْرَةِ التي رُبَّما تَسَلَّلَتْ إلى قَلْبِ فِليمون فيقولُ لَهُ: "لأَنَّهُ رُبَّمَا لأَجْلِ هذَا افْتَرَقَ عَنْكَ إِلَى سَاعَةٍ، لِكَيْ يَكُونَ لَكَ إِلَى الأَبَدِ، لاَ كَعَبْدٍ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ أَفْضَلَ مِنْ عَبْدٍ". بِعِبارَةٍ أُخرى: "لا تَحْزَن يا فِليمون، وَلا تَغْضَب، وَلا تَسْمَحْ للحَيْرَةِ أنْ تَسْتَولي عَلَيْكَ. فَرُبَّما سَمَحَ اللهُ بِحُدوثِ مَا حَدَثَ لِكَيْ تَصِلَ رِسالَةُ الخَلاصِ بيسوعَ المَسيح إلى عَبْدِكَ الهارِبِ أُنسيمُس! وَرُبَّما خَسِرْتَهُ أنْتَ زَمانًا يَسيرًا لِتَرْبَحَهُ إلى الأبد. فَأثناءَ وُجودِهِ في رُوما، اهْتَدى إلى شَخْصِ الربِّ يَسوعَ المَسيح. وَبِذَلِكَ فَقَدْ صَارَ أخًا لَكَ في المَسيح يَسوع إلى أبَدِ الآبدين!"

وَالحَقيقَةُ هِيَ أنَّ هَذا هُوَ ما يَحْدُثُ في حَياةِ أُناسٍ كَثيرينَ كُلَّ يَوْم. فَهُناكَ أبناءٌ يَتْرُكونَ بُيوتَ آبائِهِمْ وَأُمَّهاتِهِمْ لِكَيْ يَعيشوا كَما يَشاءون. وَبالرَّغْمِ مِنْ حُزْنِ الأهْلِ وَصُعوبَةِ المَوْقِفِ، فإنَّ كَثيرينَ يَتقابَلونَ مَعَ الربِّ يَسوعَ وَجْهًا لِوَجْهٍ فَتَتَغَيَّرُ حَياتُهُمْ إلى الأبَد. لِذلكَ، هُناكَ أشْخاصٌ قَدْ يَفْتَرِقونَ عَنَّا زَمانًا يَسيرًا لِكَيْ يَكونوا لَنا إلى الأبَد.

وَهُناكَ مُشْكِلاتٌ عائليَّةٌ قَدْ تَدْفَعُ الزَّوْجَ إلى تَرْكِ البيتِ. وَمَعَ أنَّ المَوْقِفَ ليسَ سَهْلًا البَتَّة، فإنَّ اللهَ قَدْ يَسْتَخْدِمُ ظُروفًا عَصيبَةً كَهَذِهِ لِجَذْبِ النَّاسِ إليهِ. لِذَلِكَ، مِنَ المُهِمِّ جِدًّا أنْ نُسَلِّمَ طُرُقَنا للربِّ في جَميعِ الأحوالِ وَالظُّروف. وَمِنَ المُهِمِّ أنْ نُصَلِّي دائِمًا وَأنْ نُسَلِّمَ كُلَّ شَيءٍ لَهُ: قُلوبَنا، وَأفْكارَنا، وَطُرُقَنا، وَمَاضينا، وَحاضِرَنا، وَمُسْتَقْبَلَنا، وَكُلَّ شَيءٍ.

وَلا شَكَّ أنَّ هَذا يَتَطَلَّبُ إيمانًا قَويًّا باللهِ وَاتِّكالًا عَلَيْهِ. فَلا يَكْفي أنْ نُؤمِنَ باللهِ في الأمورِ المَلْموسَةِ وَالمَحْسوسَةِ فَقَط. فالإيمانُ الحَقيقيُّ هُوَ "الثِّقَةُ بِما يُرْجى وَالإيقانُ بأمورٍ لا تُرى". لِذلكَ، عِنْدَما يَبْدو أنَّ كُلَّ شَيءٍ مِنْ حَوْلِنا قَدِ انْهارَ، وَأنَّنا فَقَدْنا كُلَّ أمَلٍ أوْ رَجاءٍ، فإنَّنا في حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إلى الإيمانِ بشخصِ الربِّ يَسوعَ المَسيحِ وَإلى الاتِّكالِ عليهِ.

وَقَدْ نَميلُ أحْيانًا إلى رُؤيَةِ الأشياءِ السَّلبيَّةِ فَقَطْ فَنَصْرُخُ قائِلينَ إنَّ كُلَّ الأشياءِ تَعْمَلُ ضِدَّنا. وَلَكِنَّ الحَقيقَةَ ليسَتْ كَذَلِك. فالأمْرُ وَما فيه هُوَ أنَّنا لا نَرى الصُّورَةَ الكامِلَة، بَلْ نَرى جُزْءًا مِنْها. وَهَذا هُوَ مَا حَدَثَ مَعَ يَعْقوب في العَهْدِ القَديم. فنحنُ نَقرأُ في سِفْرِ التَّكوين أنَّ أبناءَ يَعْقوب كانُوا يَغارونَ مِنْ أخيهِمْ يوسُفَ فَدَبَّروا مُؤامَرَةً لِقَتْلِهِ. وَلَكِنَّ أحَدَ إخْوَتِهِ (وَهُوَ يَهوذا) قالَ لَهُم: "مَا الْفَائِدَةُ أنْ نَقْتُلَ أخَانَا وَنُخْفِيَ دَمَهُ؟ تَعَالَوْا نَبيعَهُ لِلإسْمَاعِيلِيِّينَ، وَلاَ تَكُنْ أيْدِينَا عَلَيْهِ لأنَّهُ أخُونَا وَلَحْمُنَا". لِذلكَ فَقَدْ باعُوْهُ عَبْدًا وَقالوا لأبيهِ يَعْقوب إنَّ حَيَوانًا ضَارِيًا قَدِ افْتَرَسَ يوسُف. فَمَزَّقَ يَعْقُوبُ ثِيَابَهُ وَنَاحَ عَلَى ابْنِهِ أيَّامًا كَثِيرَةً. فَقَامَ جَمِيعُ بَنِيهِ وَجَمِيعُ بَنَاتِهِ لِيُعَزُّوهُ، فَأَبَى أنْ يَتَعَزَّى وَقَالَ: "إنِّي أنْزِلُ إلى ابْنِي نَائِحًا إلَى الهَاوِيَةِ". وَبَكَى عَلَيْهِ أبُوهُ.

وَأمَّا الْمِدْيَانِيُّونَ الذينَ اشْتَروا يوسُفَ فَبَاعُوهُ فِي مِصْرَ لِشَخْصٍ يُدْعى "فُوطِيفَار". وَكانَ فوطيفار رَئيسَ حَرَسِ فِرْعَون. وَمِنَ المؤكَّدِ أنَّكَ قَرَأتَ (أوْ سَمِعْتَ)، صَديقي المُستمِع، قِصَّةَ امْرَأةِ فوطيفار التي حاوَلَتْ إغْواءَ يوسُف. وَلَكِنَّ يوسُفَ هَرَبَ مِنْها لِكَيْ لا يَفْعَلَ شَيئًا قَبيحًا في عيني الربِّ. وَبَعْدَ سِلْسِلَةٍ مِنَ الأحْداثِ المُشَوِّقَةِ، تَدَخَّلَ اللهُ بِطَريقَةٍ مُعْجِزِيَّةٍ في حَياةِ يوسُفَ فَجَعَلَهُ الرَّجُلَ الثَّاني في مِصْرَ بَعْدَ فِرْعَون.

وَبَعْدَ سَنواتٍ، حَدَثَتْ مَجَاعَةٌ في جَميعِ البُلْدَان. أمَّا أرْضُ مِصْرَ فَقَدْ تَوَافَرَ فِيهَا الخُبْزُ بِسَبَبِ حِكْمَةِ يُوسُفَ وَحُسْنِ إدارَتِهِ للبِلاد. وَقَدْ أقْبَلَ أهْلُ البُلْدَانِ الأخْرَى إلى مِصْرَ، إلى يُوسُفَ، لِيَبْتَاعُوا قَمْحًا لأنَّ المَجَاعَةَ كَانَتْ شَدِيدَةً في كُلِّ الأرْض.

وَعِنْدَمَا عَلِمَ يَعْقُوبُ أنَّ القَمْحَ مُتَوَافِرٌ في مِصْرَ، قَالَ لأبْنَائِهِ: "مَا بَالُكُمْ تَنْظُرُونَ بَعْضُكُمْ إلى بَعْضٍ؟ لَقَدْ سَمِعْتُ أنَّ القَمْحَ مُتَوَافِرٌ في مِصْرَ. فَانْحَدِرُوا إلى هُنَاكَ وَاشْتَرُوا لَنَا قَمْحًا لِنَبْقَى عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ وَلاَ نَمُوتَ". فَذَهَبَ عَشَرَةٌ مِنْ إخْوَةِ يُوسُفَ لِيَشْتَرُوا قَمْحًا مِنْ مِصْرَ، أمَّا بَنْيَامِينُ أخُو يُوسُفَ فَلَمْ يُرْسِلْهُ يَعْقُوبُ مَعَ إخْوَتِهِ خَوْفًا مِنْ أنْ يَنَالَهُ مَكْرُوهٌ.

فَقَدِمَ أبْنَاءُ يَعْقوب إلى مِصْرَ مَعَ جُمْلَةِ القَادِمِينَ لِيَشْتَرُوا قَمْحًا، لأنَّ المَجَاعَةَ كَانَتْ قَدْ أصَابَتْ أرْضَ كَنْعَانَ أيْضًا. وَكَانَ يُوسُفُ هُوَ المُتَسَلِّطُ عَلَى مِصْرَ، وَالقَائِمُ على بَيْعِ القَمْحِ لأهْلِهَا جَمِيعًا. فَأقْبَلَ إخْوَةُ يُوسُفَ وَسَجَدُوا لَهُ بِوُجُوهِهِمْ إلى الأرْضِ. فَلَمَّا رَآهُمْ عَرَفَهُمْ، وَلَكِنَّهُ

تَنَكَّرَ لَهُمْ وَخَاطَبَهُمْ بِجَفَاءٍ وَسَأَلَهُمْ: "مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟" فَأَجَابُوهُ: "مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ لِنَشْتَرِيَ طَعَامًا". وَمَعَ أَنَّ يُوسُفَ عَرَفَهُمْ، إِلاَّ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوهُ.

ثُمَّ تَذَكَّرَ يُوسُفُ أَحْلاَمَهُ الَّتِي حَلُمَهَا بِشَأْنِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: "أَنْتُمْ جَوَاسِيسُ، وَقَدْ جِئْتُمْ لاكْتِشَافِ ثُغُورِنَا غَيْرِ المَحْمِيَّةِ" فَقَالُوا لَهُ: "لاَ يَا سَيِّد إِنَّمَا قَدِمَ عَبِيدُكَ لِشِرَاءِ الطَّعَامِ، فَنَحْنُ كُلُّنَا أَبْنَاءُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، نَحْنُ أُمَنَاءُ وَلَيْسَ عَبِيدُكَ جَوَاسِيسَ". وَلَكِنَّهُ قَالَ لَهُمْ: "لا! أَنْتُمْ قَدْ جِئْتُمْ لاكْتِشَافِ ثُغُورِنَا غَيْرِ المَحْمِيَّةِ". فَأَجَابُوهُ: "إِنَّ عَبِيدَكَ اثْنَا عَشَرَ أَخًا، أَبْنَاءُ رَجُلٍ وَاحِدٍ مُقِيمٍ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. وَقَدْ بَقِيَ أَخُونَا الصَّغِيرُ عِنْدَ أَبِينَا اليَوْمَ، وَالآخَرُ مَفْقُودٌ". فَقَالَ لَهُمْ: "إِنَّ الأَمْرَ كَمَا قُلْتُ لَكُمْ! أَنْتُمْ جَوَاسِيسُ". ثُمَّ اشْتَرَطَ يوسُفُ عليهِمْ أَنْ يأتوا بأخيهِم الأصْغَرِ لإثْباتِ صِدْقِهِم فَقال: "إِنْ كُنْتُمْ حَقّاً صَادِقِينَ فَلْيَبْقَ وَاحِدٌ مِنْكُمْ رَهِينَةً، بَيْنَمَا يَأْخُذُ بَقِيَّتُكُمُ القَمْحَ وَيَنْطَلِقُونَ إِلى بُيُوتِكُمُ الجَائِعَة. وَلَكِنْ إِيتُونِي بِأَخِيكُمُ الأَصْغَرِ فَأَتَحَقَّقَ بِذَلِكَ مِنْ صِدْقِكُمْ وَلا تَمُوتُوا". فَوَافَقُوا على ذَلِكَ.

فَأَخَذَ يُوسُفُ أَخاهُمْ "شِمْعُونَ" وَقَيَّدَهُ أَمَامَ عُيُونِهِمْ. ثُمَّ أَمَرَ مُوَظَّفِيهِ أَنْ يَمْلأُوا أَكْيَاسَهُمْ بِالقَمْحِ، وَأَنْ يَرُدُّوا فِضَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلى عِدْلِهِ، وَأَنْ يُعْطُوهُمْ زَادًا لِلطَّرِيقِ. فَفَعَلُوا ذَلِكَ. فَحَمَّلُوا حَمِيرَهُمُ القَمْحَ وَانْطَلَقُوا مِنْ هُنَاكَ. وَعِنْدَمَا قَدِمُوا على أَبِيهِمْ يَعْقُوبَ في أَرْضِ كَنْعَانَ قَصُّوا عَلَيْهِ مَا حَلَّ بِهِمْ، وَقَالُوا: "الرَّجُلُ المُتَسَلِّطُ على مِصْرَ خَاطَبَنَا بِجَفَاءٍ، وَظَنَّ أَنَّنَا جَوَاسِيسُ على الأَرْضِ، فَقُلْنَا لَهُ: نَحْنُ أُمَنَاءُ وَلَسْنَا جَوَاسِيسَ. نَحْنُ اثْنَا عَشَرَ أَخًا أَبْنَاءُ أَبِينَا. أَحَدُنَا مَفْقُودٌ، وَالأَصْغَرُ بَقِيَ اليَوْمَ مَعَ أَبِينَا في أَرْضِ كَنْعَانَ. فَقَالَ لَنَا الرَّجُلُ سَيِّدُ البِلاَدِ: لِكَيْ أَتَحَقَّقَ أَنَّكُمْ أُمَنَاءُ، دَعُوا أَخًا وَاحِدًا مِنْكُمْ عِنْدِي رَهِينَةً وَخُذُوا طَعَامًا لِبُيُوتِكُمُ الجَائِعَةِ وَامْضُوا، ثُمَّ أَحْضِرُوا لِي أَخَاكُمُ الأَصْغَرَ، وَبَذَلِكَ أَعْرِفُ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ جَوَاسِيسَ بَلْ قَوْمًا أُمَنَاءَ، فَأُطْلِقَ لَكُمْ أَخَاكُمْ وَتَتَّجِرُونَ فِي الأَرْض". فَقَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: "لَقَدْ أَثْكَلْتُمُونِي أَوْلاَدِي. يُوسُفُ مَفْقُودٌ، وَشِمْعُونُ مَفْقُودٌ، وَهَا أَنْتُمْ تَأْخُذُونَ بَنْيَامِينَ بَعِيدًا! كُلُّ هَذِهِ الدَّوَاهِي حَلَّتْ بِي!"

وَهَكَذا، فَقَدْ رَأى يَعْقوبُ أَنَّ كُلَّ الأمورِ كانَتْ تَعْمَلُ ضِدَّهُ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرى الصُّورَةَ الكامِلَة. فَقَدْ كانَ ابْنُهُ يوسُفُ قَدْ صَارَ الرَّجُلَ الثَّاني في مِصْرَ بَعْدَ فِرْعَوْن. وَكانَ اللهُ قَدِ اسْتَخْدَمَ كُلَّ الظُّروفِ المُضادَّةِ لإنْقاذِ الأَرْضِ كُلِّها مِنْ مَوْتٍ مُحَقَّقٍ بِسَبَبِ المَجاعَةِ مِنْ خِلالِ حِكْمَةِ يُوسُفَ وَحُسْنِ إدارَتِهِ.

وَما أَكْثَرَ مَا نَفْعَلُ نَحْنُ أيضًا الشَّيءَ نَفْسَهُ حينَ نَرى جُزْءًا صَغيرًا مِنَ الصُّورَةِ الكامِلَةِ! فَقَدْ نَمْتَلِئُ حُزْنًا وَغَضَبًا وَيَأسًا. وَقَدْ نَلومُ اللهَ على كُلِّ مَا يَجْري. وَلَكِنَّ بولسَ الرَّسولَ كانَ يَعْلَمُ أَنَّ "كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ". وَقَدْ رَأى يَدَ اللهِ بوضوحٍ تامٍّ في مَا حَدَثَ مَعَ أُنِسيمُس. فَمَعَ أَنَّ أُنِسيمُس سَرَقَ سَيِّدَهُ وَفَرَّ هارِبًا، فإنَّ تِلْكَ الحادِثَةَ عَيْنَها هِيَ الَّتي جَعَلَتْهُ يَهْتَدي إلى الربِّ يَسوعَ المَسيح. وَبَعْدَ أَنْ كانَ غَيْرَ نَافِعٍ، صَارَ نَافِعًا.

وَيُناشِدُ بولسُ فِليمون بأنْ لا يُعامِلَ أُنِسيمُس كَعَبْدٍ بَعْدَ الآن، بَلْ كأخٍ مَحْبوبٍ لَهُ في المَسيح يَسوع. آمين!

[الخاتمة]
(مُقدِّم البرنامج)

في الحَلْقَةِ القادِمَةِ مِنْ بَرْنامَج "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم"، سَيُتابِعُ الرَّاعي "تْشَك سميث" (بِمَشيئَةِ الربِّ) دِراسَتَهُ لِرِسالَةِ بولسَ الرَّسول إلى فِليمُون! لِذَا، أرْجو، صَديقي المُسْتَمِع، أنْ تَكونَ بِرِفْقَتِنا وَأنْ تُصْغي إلينا في المَرَّةِ القادِمَة كَيْ تَنالَ كُلَّ بَرَكَةٍ وَفائِدَة.

وَالآنْ، نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعينَ، مَع كَلِمَةٍ خِتاميَّة.

[كَلِمَة خِتاميَّة]
(الرَّاعي تْشَك سميث)

صَلاتُنا لأجْلِكَ، صَديقي المُستمع، هِيَ أنْ يُبارِكَكَ الربُّ بِكُلِّ بَرَكَةٍ، وَأنْ يَمْلأ قَلْبَكَ وَحَياتَكَ بِكَلِمَتِهِ الحَيَّةِ، وَبِحَقِّه، وَبِمَحَبَّتِهِ. وَصلاتُنا لأجْلِكَ أيضًا هِيَ أنْ يَقودَكَ الربُّ في كُلِّ شَيءٍ، وَأنْ يُعْطيكَ أيَّامًا مُبارَكَةً أثناءَ قِراءَتِكَ لِكَلِمَتِهِ المُقَدَّسَةِ، وَدِراسَتِكَ لَها، وَتَأمُّلِكَ فيها. وَأخيرًا، صَلاتُنا لأجْلِكَ هِيَ أنْ تَنْمو في حَياةِ الإيمان، وَأنْ تَصيرَ مُؤمِنًا أكْثَرَ نُضْجًا، وَأنْ يَسْتَخْدِمَكَ الربُّ اسْتِخْدامًا عَظيمًا لِتَمْجيدِ اسْمِهِ القُدُّوس. باسْمِ رَبِّنا وَمُخَلِّصِنا يَسوعَ المَسيح. آمين!